

الفصل الخامس

القوة الناعمة

(٢٥) كن

كن الطبعة الأولى من نفسك ولا تكن نسخة مقلدة من أحد آخر .

لقد حاول كثيرون من فرط إعجابهم بشهرة شخص آخر أن يقلدوه، ولم يذكر لنا التاريخ أن أيًا من هؤلاء قد حصل على أي قدر من الشهرة التي حصل عليها الموهوب الأصلي .

رأينا ذلك كثيرًا في مجالات الفن والرياضة والإعلام والإذاعة، وكنا نظن أن من لديه موهبة التقليد قد يصل إلى درجة أعلى ممن يقوم بتقليده، ولكن وعلى الرغم من إعجابنا أحيانًا بهذا التقليد إلا أنه لم يستمر طويلًا، وبقي الموهوب الأصلي على القمة لا ينازعه أبدًا من حاول تقليده.

حاول كثيرون تقليد عبد الباسط عبد الصمد والحصري والمنشاوي والبنّا ومصطفى إسماعيل وغيرهم، وعلى الرغم من وحدة أحكام التلاوة وقواعد القراءة إلا أن أحدًا لم يستطع الوصول إلى شهرة ومكانة من يقلده.

وحاول عديدون تقليد عبد الحليم حافظ وعبد الوهاب وفريد الأطرش وأم كلثوم وغيرهم ..

وحاول غيرهم تقليد بيليه وبوشكاش ومارادونا وميسي، ولم يستطع أحد أن يحصل على أي شيء

إن النصيحة الذهبية التي أقدمها لك هنا هي:

أنك إذا اقتفيت آثار من سبقك فلن يكون لك أثر..

إن أعجبك شخص معين أو سلوك بعينه فلا مانع من تعلمه كقاعدة عامة، ولكن ليكن التطبيق على طريقتك وبأسلوبك الفريد الذي لا ينافسك فيه أحد.

(٢٦) أحكم

أحكم قيادة حياتك، فإذا كنت تقود سفينة الحياة بدون هدف واضح، فلماذا إذاً تنتظر رياحاً مواتية تساعدك على تحقيق الآمال ؟
وأي شاطئ تتطلع إليه لترسو هناك بسفينة حياتك، وتذكر يا بني أنك لا تستطيع اختيار موعد أو طريقة موتك، ولكنك بكل تأكيد تستطيع اختيار طريقة حياتك .
إن قيادة الحياة مهارة نتعلمها وليست موهبة نولد بها، فإذا كنت عازماً على تعلم مهارة القيادة فسوف تجيدها في فترة وجيزة .
أما إذا كنت سوف تنتظر تجارب الحياة وخبراتها لكي تتعلم فن قيادة الحياة فمعنى ذلك أنك سوف تلتحق بفصول لمحو أمية قيادة الحياة، وقد تتقن فن القيادة في لحظة أبعد ما تكون فيها عن شاطئ الأمان، وقد تكون حينذاك قد فقدت الكثير من أدوات السفينة والبحارة .
العجيب يا بني أننا نتهافت على تعلم قيادة الدراجة والسيارة ولا نفكر في تعلم قيادة الذات التي هي قيادة الحياة .

وها أنا ذا أدرك من الآن أن نتعلم فنون قيادة الحياة مبكراً حتى تصل بالسفينة إلى الشاطئ الذي تريده دون أن تخسر أحداً من طاقمك ولا أدواتك ولا تلتفت إلى

هؤلاء الحمقى الذين يرددون دائما أن النجاح يأتي صدفة أو بضربة حظ .
لقد تذكرت أحوال الناس وأنا أقرأ القصة الرائعة (أليس في بلاد العجائب)
للكاتب الرائع لويس كارول - وهذا اسمه الحركي - فقد طلبت أليس من القطعة أن
تصف لها الطريق فسألتها القطعة: إلى أين تريدان الذهاب يا أليس؟ فقالت: لا
أعرف. فأجابتها القطعة بحكمة العارفين: إذا كنت لا تعرفين إلى أين تذهبين، فكل
الطرق تؤدي إلى هناك . كم من الناس يا بني يسير في هذه الحياة دون هدف ..
دون حلم .. دون أمل !!! .

يقول والتر ستابلز في كتابه القيم (البحث عن ذاتك الحقيقية): إن هناك ما يسمى
مدرج الإنجاز لأي فعل ينبغي أن تقوم به، وهذا المدرج يأخذ الشكل التالي:

- ١- مستحيل أن أفعل.
- ٢- لا أستطيع الفعل.
- ٣- ربما أستطيع.
- ٤- أعتقد أنني أستطيع.
- ٥- أنا أستطيع.
- ٦- يا إلهي إنني أستطيع أن أحرك الجبال.
- ٧- أرجوكم .. أرجوكم .. أفسحوا الطريق فأنا منطلق

كثير من البشر يا بني بمجرد أن تفتح معه حوارا حول التغيير والقدرة على إحداث الفارق يبادرك بالقول: إننا لا نملك من الأمر شيئا، وإننا كالريشة في الهواء، ويرفعون الراية البيضاء لمشاكل الحياة وأزماتها ويرتضون العيش على الهامش .

**قيادة حياة مهارة تحتاج
إلى تعليم، ثم تدريب
حتى تضمن الوصول إلى
الأهداف بشكل جيد
ومن أقرب الطرق .**

يقول الله ﷻ في محكم كتابه : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)^(١)

إن الحديث في هذه الآية يا بني ليس قاصرا على النبات والزرع، فالآية أشمل وأعم من ذلك، فالوجود كله يخضع لسنة الله ﷻ في التطور والتجدد والوصول إلى

^١ سورة يونس، آية ٢٤ .

ما يجعل الحياة سهلة إلى درجة أن يظن الناس أنهم قادرون عليها، وما تفسير الابتكارات والاكتشافات المعجزة التي تتوصل إليها البشرية كل يوم إلا تفسيرًا عمليًا لهذه الآلية .

هؤلاء المجددون والمبتكرون يا بني هم الذي أحكموا قيادة حياتهم، وفهموا جيدًا أين هم الآن وإلى أين بالضبط يريدون الوصول، وما الطريق الذي يتوجب عليهم خوضه، وأخيرًا: ما العدة اللازمة لخوض هذا الطريق؟!!

تأمل يا بني الفارق الرهيب بين هؤلاء وبين أليس التي كانت تسأل القطة عن الطريق وهي لا تعرف إلى أين تذهب .

(٢٧) اصنع

اصنع الفارق بتغيير بسيط ولكنه مستمر، إن الأشياء التي نظن أنها بسيطة قد يكون لها مفعول السحر على حياتنا إذا ما كتب لها الاستمرار .

هذه أول قصة جميلة عن رجل الأعمال الشهير (تشارلز شواب) الذي كان رئيس أكبر شركة حديد في الولايات المتحدة، ويعاني من كثرة الأعمال وقلة الوقت المتاح لإنجازها، ثم قابل شواب ذات ليلة المستشار الإداري (إيفي لي) فقال له: أرني طريقة لاستغلال وقتي بأفضل لكي أنجز أكثر، وسأدفع لك مقابل هذه الاستشارة، وعلى الفور قام المستشار بتسليم رئيس الشركة ورقة، وقال له: اكتب على هذه الورقة أهم الأعمال التي تريد إنجازها غداً، وبعد أن تكمل القائمة أعط كل مهمة رقماً حسب أهميتها، وعندما تصل إلى مكتبك في الغد ابدأ برقم واحد، إياك ثم إياك أن تبدأ بقراءة الجريدة أو برقم ٢ أو ٥ على القائمة لأنه سهل أو لأنه لا يتطلب سوى بضع دقائق، لا وإنما ابدأ برقم واحد واثبت عليه حتى يتم الانتهاء منه، وبعد إنجاز المهمة الأولى انتقل إلى المهمة الثانية وبنفس الطريقة حتى تنجزها وهكذا حتى ينتهي يومك، فإذا كانت لديك قائمة من ١٠ أعمال مثلاً وانتهى اليوم

وأنت لم تنجز سوى ٣ منها فقط، فهذا جيد، لأنك أنجزت أهم ثلاثة أعمال. فما الفائدة من إنجاز الأعمال السبعة على القائمة إن لم تكن قد أنجزت العمل الأول والثاني الأكثر أهمية، وبعد أن شرح الاستشاري الطريقة لرئيس الشركة قال له: اجعل هذه عادة لك، وبعد أن تقنتت بفعاليتها قم بتوجيه بقية موظفيك بعد ذلك، وعندما ترى نتائجها أرسل لي شيكاً بما تراه مناسباً. بعد عدة أسابيع وبعد أن طبق رئيس الشركة هذه الفكرة في شركته وأثبتت نجاحها أرسل له شيكاً بمبلغ ٢٥,٠٠٠ دولار. تشارلز شواب لم يدفع المبلغ فحسب، وإنما أرفق مع الشيك ورقة كتب فيها للاستشاري: إن هذه الفكرة هي أثمن فكرة تعلمها في حياته العملية على الإطلاق.

وإليك بعض الأفكار البسيطة التي قد تساعدك على إحداث تغيير كبير:

- ١- إذا أردت قراءة الجريدة اليومية فليكن ذلك في حدود ١٠ دقائق لا أكثر لأن الفائدة التي ستعود عليك لا تعادل الوقت الذي ستضيعه، ويمكن استبدال ذلك بالقراءة في كتاب مفيد طالما كانت لديك الرغبة والفرصة للقراءة .

٢-

إذا جلست لمشاهدة التلفزيون فاحتفظ بورقة وقلم وقم بتسجيل أي شيء تجده هاماً بالنسبة لك في أي مجال من المجالات وستجد نفسك في شهور أو أعوام قليلة وقد أصبحت متميزاً جداً عن أقرانك، وستكون حصيلتك الثقافية في ازدياد مع استمرار هذه العادة الرائعة .

٣-

فكر فيما تريد له بدائل وأفكاراً إبداعية قبل النوم مباشرة، وبشكل مركز، واحتفظ بورقة وقلم إلى جوارك، ثم قم بترديد أذكار النوم، وستجد نفسك عند الاستيقاظ من النوم محاطاً بمجموعة من الأفكار الجديدة الرائعة، وكل ما عليك حينها أن تقوم بتدوينها فوراً . ويمكن أن تستخدم هذه الطريقة في حالة استذكار مادة معينة أو حفظ سورة معينة من القرآن، فإن هذه الطريقة تدفع العقل الباطن إلى العمل بأقصى طاقة لحفظ هذه المعلومات أو إيجاد بدائل جديدة .

٤-

ضع أحلامك وأهدافك على الورق وابدأ فوراً في التخطيط لتحقيق الأهداف، ولا تعجز بسبب المشكلات والعوائق التي ستواجهها فهذه سنة الحياة .

- ٥- احتفظ بمفكرة صغيرة إلى جانبك تدوّن فيها أسماء أبناء من تعرفهم لتسأل عنهم وسجّل أيضًا تاريخ ميلادهم، قد يبدو هذا الإجراء صعبًا في أول الأمر، ولكنه سيتحول بعد ذلك إلى متعة كبيرة .
- ٦- عندما تلتقي شخصًا فحاول أن تتذكر سريعًا ما الذي يسعده أو الذي يهتم به، وابدأ بسؤاله عن ذلك الشيء، وحينها ستكون قد وضعت حجر الأساس لمكانتك في قلبه .
- ٧- إذا قلت شكرًا لمن أسدى إليك معروفًا فضع معها بعض التوابل التي تجعل لها مذاقًا خاصًا يختلف عن نفس الكلمة التي يقولها الجميع، كأن تقول مثلاً: ألف شكر، وجزاك الله خيرًا، أنت فعلاً إنسان رائع، ربنا ينور طريقك ويوسع رزقك . وستعلم يا بني كم سيؤثر ذلك في الناس وكيف سيكون رد فعلهم .

١- إن أسوأ جملة عرفتها البشرية هي (ليس في الإمكان أبدع مما كان).
لو أن هذه الجملة صحيحة لما حدث هذا التطور المذهل في حياتنا والذي نراه كل يوم في شتى المجالات. شريف صلاح الدين

(٢٨) طبق

طبق ما تعرفه، فالمعرفة بدون تطبيق لا وزن لها ولا قيمة وهي كالأواني الفاخرة الفارغة، منظرها جميل، ولكنها لا تسمن ولا تغني من جوع .

إن بحر المعرفة يا بني هو أعرق بحور العالم على الإطلاق، ومهما أبحرت فيه فلن تصل أبدًا إلى منتهاه ولن تستطيع أن تعرف كل شيء عن أي شيء، ويقول الله عز وجل: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)، فليكن شغلك الشاغل هو تطبيق ما عرفته وما تعلمته.

إن هذا العنوان (طبق ما تعرفه) هو عنوان كتاب كامل للكاتب الرائع (كين بلانشارد) وآخرون، ولقد قرأت لك هذا الكتاب وأعجبت به جدًا؛ لأنه كشف لي كثيرًا من العيوب التي كنت أجهلها عن نفسي .

إن أي معلومات نحصل عليها من كتاب أو محاضرة أو ندوة أو أي وسيلة أخرى تبقى في أذهاننا لفترة محدودة فإن لم يتم استخدامها - بمعنى تطبيقها - فإنها تذوب كما يذوب الثلج، وتتسرب كما يتسرب الماء من الإناء المثقوب، والحل الوحيد للحفاظ

عليها دائماً هو وضعها في حيز التطبيق أو التنفيذ .

دعني أسألك يا بني عن أجمل كتاب قرأته أو تفاعلت معه في السنوات الخمس الأخيرة .. كم تتذكر منه؟ كم فصلاً كان هذا الكتاب؟ ما هو أكثر ما أعجبك في الكتاب؟

هذه الأسئلة وغيرها لم يستطع معظم من سألتهم الإجابة عليها لأننا غالباً ما نعجبنا الكتاب أو الموضوع فنعوض في بحور المعرفة، ونضل طريق العودة بالفائدة، فنكتفي بالعودة دون تطبيق؛ أي دون فائدة .

وما يقال عن الكتب يقال عن التعليم، ويقال عن برامج التلفزيون والمحاضرات والندوات وغيرها .. إننا لا نبذل جهداً كبيراً في محاولة استخدام هذه المعارف لكي نحافظ على روعتها وأناقته .

القاعدة الذهبية هنا هي:

معرفة قليلة محدودة مع تطبيق دائم أفضل كثيراً من معارف كثيرة غير محدودة لا توضع في موضع التطبيق .

يقول الكاتب في كتابه: إن الفجوة بين ما يتعلمه الناس وما يطبقونه يؤدي إلى الجنون .

إن المعرفة يا بني هي الوسيلة التي يستند عليها التطبيق لتحقيق الحياة السعيدة.

السؤال الذي يفرض نفسه علينا الآن هو كيف نستطيع أن ندفع الناس إلى التطبيق وليس الاكتفاء بمجرد المعرفة؟

كلمة السر في الإجابة على هذا السؤال هي التكرار .. التكرار ... التكرار .

لقد كان السبب الرئيسي في إعجابي بهذا الكتاب هو رغبتني أن تتبع أنت هذه الوسيلة في قراءة كتابي الذي بين يديك، فلا تكتفي يا بني بقراءته مرة واحدة؛ لأنك كلما تصفحته فستجده يشير إلى موقف ما أو سلوك بعينه في حياتك يتطلب التغيير أو التطوير أو التحسين، وبالطبع لن يتسنى لك ذلك من أول مرة؛ لأنني أستعرض معك في الكتاب مراحل مختلفة من حياتك وبالضرورة فإنك لن تشعر بكثير من الشغف إذا كنت تقرأ في فصل لا يرتبط كثيرًا بك وبأحد ممن حولك، ولكن تأكد يقينًا أنه سيأتي اليوم الذي سيكون فيه هذا الفصل أكثر الفصول شغفًا بالنسبة لك لارتباطه التام

والوثيق بك في هذه المرحلة .

المعرفة كالفأس الذي يستخدمه الفلاح في تمهيد الأرض للزراعة، والتطبيق لن

يكون إلا في وجود الأرض .

**الفلاح الذي لديه فأس واحد
وأرض تحتاج إلى حراستها
وزراعتها أفضل ملايين المرات
من الفلاح الذي لديه مئات
الفئوس وليس لديه أرض
للزراعة .**

شريف صلاح الدين

(٢٩) تحمل

تحمل مسؤولية أفعالك، وتعامل مع المواقف بجدية وحزم، وتذكر أن الأزمة في حد ذاتها ليست هي المشكلة، ولكن في طريقة مواجهة الأزمة .
وأخطر ما في المواجهة عندما تتبرأ أنت من المشكلة وتلقي أسبابها على الآخرين فتشعر أنك بريء وضحية، وتعلن أن الأمر خارج عن إرادتك، وأنه لا طاقة لك بالمشكلة، وأن العرق والتعب والجد والاجتهاد لن يحسن شيئاً، ولن يقدم ولا يؤخر .

إن شعورك يا بني أنك خال من العيوب، وأن العيب يكمن في الآخرين، وأنتك فوق مستوى الخطأ، وأن الكل يحسدك ويقف في وجهك حقاً عليك هو شعور يشبه السجين المستسلم للسجان الذي أغلق باب الزنزانة ولم يفكر أبداً في وسيلة للهرب، وبذلك فلن تتعب نفسك وقتها في قيود تحاول أن تتخطاها ولا في تطوير نفسك أو خلق حياة إيجابية أو التطلع لمستقبل أفضل .

**تحمل أخطاء من يعملون
تحت قيادتنا هو أعظم
درجات تحمل المسؤولية وهو
الدليل العملي للقيادة
الفعالة .**

شريف صلاح الدين

إن المسؤولية عن ذاتك وأفعالك بشكل قوي وواضح هي الخطوة الأولى على طريق قيادة الآخرين، فالقاعدة العامة كما يقول وليام كوهين صاحب الخبرات القيادية المتميزة عسكرياً ومدنياً في كتابه الرائع (فن القيادة): أنه بمجرد توليك القيادة تكون أنت وحدك المسئول عن بلوغ الهدف، وأنتك تستطيع بحكم القيادة تفويض بعض المهام لأعضاء فريقك، ولكنك أبداً لا تستطيع تفويض المسؤولية.

هذه واقعة طريفة رواها القائد العسكري هاب أرنولد قائد القوات الجوية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية في كتابه الجميل (طيار الجيش) ... يقول هاب أرنولد: إن أحد قادة الأسراب الجدد وصلته رسالة من القائد العام وبها ما يلي: لقد أفرطت في الشراب أمس وأرجو ألا يحدث ذلك ثانية. فزع القائد الجديد من الرسالة لأنه لم يشرب شيئاً، بل إنه لم يغادر وحدته أصلاً، ولكنه ظن أن الرسالة قد وصلته بطريق الخطأ وانتهى الأمر !!

وبعد يومين وصلته رسالة مماثلة، ولكنها أشد حزمًا وتحمل تهديدًا ووعيدًا بالعقاب الصارم وحينها لم يجد القائد الجديد بدءًا من مفاتحة نائب القائد العام في موضوع الرسالتين وهو يقسم له أنه لم يذهب إلى أي مكان ولم يشرب شيئًا، بل إنه لا يشرب أصلاً !! فأجابه نائب القائد العام أنه والقائد العام يعلمون ذلك جيدًا من ملف الخدمة الخاص به، ولكنهما قصدا أن أحد أفراد السرب الذي هو مسئول عنه كان يفرط في الشراب، وهذه هي مسئوليته الشخصية بوصفه قائدًا للسرب .

فهم قائد السرب الجديد هذه الرسالة المعبرة وتعلم أن القيادة مقابل المسؤولية .

(٣٠) ضع عينيك

صوب على الأهداف وتحرك كيفما تشاء، فالمهم في الحياة هو الأهداف وليس التحركات، وعلى الرغم من وضوح هذه الفكرة وبداهتها إلى أن الكثير من الناس ينشغل بشدة في التحركات حتى ينسى الأهداف الأصلية التي يتحرك من أجلها.

انتبه

**أشد الناس ضلالا في
الحياة من تتحول
وسائلهم إلى أهداف
دون أن يشعروا بذلك،
وهؤلاء الذين يستحقون
الشفقة.**

إن هذه الفكرة تظهر جلية في مباريات كرة القدم، رحم الله الكابتن (لطيف) شيخ المعلقين المصريين بجملته المشهورة (الكورة إخوان)، إنها تعني ببساطة يا بني أن كل ما يدور في ملعب كرة القدم من تدريب وعرق وجه واستعداد هو لإحراز الأهداف في الخصم، ومنع دخول الأهداف في مرمى الفريق، وجميع التدريبات الفنية والبدنية والنفسية إنما تكون من أجل ذلك الهدف أيضاً .

سيطرة الفريق على الكرة شيء جميل.. لكنها لا تعني أن الفريق فائز، وقد كان الكابتن لطيف يتغنى ويمتّع المشاهدين بالمباراة بهذه التمريرات قائلًا ومهلاً مع كل تمريرة .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. أربعة .. وهكذا في إشارة إلى إحكام فريق لسيطرته على المباراة وعجز الفريق المنافس وقلة حيلته، والجمهور أيضًا يستمتع جدًّا بهذه التمريرات وتعلو الآهات وينسى الجميع أن الفارق كبير بين الوسائل والأهداف، وكل هذه التمريرات إن لم تؤدَّ إلى إحراز الأهداف فلا قيمة لها بالمرّة، وقد استنزفت الوقت والجهد في منطقة أبعد ما تكون عن تحقيق أهدافنا وكذلك الحياة يا بني .

ونموذج آخر سوف تراه كل يوم وهو جمع المال والسعي المتوحش إلى المناصب في الحياة، إن المال والصحة والمنصب الاجتماعي والأسرة ما هم إلا وسائل لتحقيق أكبر قدر من الإشباع والسعادة في الحياة، فإذا رأيت يا بني إنسانًا يتمتع بكل هؤلاء ولا يعيش سعيدًا فتأكد على الفور أن المرض هنا هو تحول الوسائل إلى أهداف في حد ذاتها .